هدية فبراير

خديجة والي

نسمات الأدب
للنشر والتوزيع

هدية فبراير

خديجة والي

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : هدية فبراير

تدقيق لغوي: رزان محمد كليب

المؤلف: خديجة والي

غلاف الكتاب:منى وجيه

موك اب الكتاب:سها منصور

تنسيق داخلي:عزة كمال

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

اقتضى الحال أن نلتقي... أن أحن... أن أشتاق... أن أتذكر كل التفاصيل الماضية بمزاجها المختلط بعدما أعلن القدر العودة إلى الديار وألقى علي مغانط الجذب لأعود إلى رشدي ثم إلى مسقط رأسي بعد ثماني سنوات من الهجرة.

سافرت قسرًا مطاوعة قلبي وعدت كرهًا بأذيال الخيبة، أتعثر، ترسخت ثوانيها وساعاتها بمخيلتي بتفاصيلها.

فالود بالهروب من رتابتي نحو العمل والدراسة دون انقطاع أو فراغ كأنني آلة لا تتعب، أو بالأحرى لأجمد

أحاسيس الفراغ والحنين والشوق إليك.

انهلت على نفسي بالعمل المضني لأنساك وليس لأتناساك، لأن فكرة السفر افتعلتها قصدًا لأغراضي الشخصية لم تكن مقتنعًا بها. خالفتك واتبعت عنادي وأحاسيسي.

نعتني بالأنانية والمادية، تقبلت إهانتك بصدر رحب ودون تبريرات، لأن ما خفي كان رحمة علي من نظرات الشفقة والعتاب التي سترمقني بها إن علمت الأمر أو فسرته.

فضـــلت دور الظالمـــة المتجبـــرة فـــي نظـــرك وعديمـــة الإحســـاس حتـــى تمحـــي أثـــري لـــديك وتقتلنـــي. آذيتـــك كثيـــرًا وأعلـــم ذلـــك بتســـرعي فـــي تصـــرفاتي وســـلوكياتي تجاهـــك فـــي الآونـــة الأخيـــرة وقـــد لمحـــت التغييـــر بشخصـــيتي وأسلوبي المتسلط

فهـا أنـا قـد عـدت بمحـض إرادتـي إليـك. كـان الحـظ حليفـك وجـذبني إلـى حياتـك مجددًا.

أمـــر المـــولى أن أمحـــي خطـــأ الســـنين وأبـــوح بـــأعظم أســـراري وســـبب أنـــانيتي وقســـوتي الهشـــة... أو تعـــرف؟ إننـــي لـــم أحـــنَّ وأتـــذكر كـــل تلـــك التفاصـــيل إلا وأنـــا

على متن الطائرة إيابًا إليك، ولم أسترجع دعاباتنا معًا إلا وأنا أحزم أمتعتي، تمنيت أيام الجامعة أن تعود حين لمحت بجانبي شابًا وفتاة كانا مثلنا في مشاكساتنا وتفاهتنا بنفس الطريقة تمامًا.

رجعت بالذكريات، فتذكرت وتذكرت وتذكرت، لأنني كنت في غيبوبة الذاكرة لتوها عادت إلي كل التفاصيل التي راودتني لسنوات طوال، وداهمتني المواقف وكأنني أعيشها مرة أخرى.

مخيلتي طيلة الرحلة ومشاعر الفرح والحزن تتشاطر جسدي بين الحين

والآخر، أفرح بالعودة إليك أم أحزن لمواجهتك؟ كيف ستكون اللحظة وكيف سأفعلها؟ كيف سأقول؟ وبماذا سأجيب؟

كل التبريرات غير منطقية بالنسبة لك، فأنت شخص ذكي لن تتقبل مبرراتي.

بعد أيام من البحث المضني عنك، تكللت المهمة بالنجاح، وتمكنت من إيجاد مكتبك، أقصد شركتك. فبعد انفصالنا، صرت مشهورًا جدًا وذو مكانة رفيعة يحسب لك الموظفون ألف حساب.

أصبحت صارمًا وقاسيًا، غاضبًا وثائرًا، إلا أنك أصبحت أنيقًا جدًا، وزادتك السترة وسامة عن ذي قبل، مما جعل قلبي يطير عشقًا لرؤياك، إن لم أقل أتحامل على تغري كي يضحك.

حينما رأيتك بعد كل هذه السنين من شق الباب، اقتربت لأتفحص هيئتك كي أفاجئك كما تعودت دائمًا أن أفعل، لكن قدماي شُلت مكانها لما التقطته أذناي، إذ بالمكتب يكتسي حلة سوداء في ناظري.

لم أستفق إلا على واقع أصوات تستفز سكنتي بإحدى المستشفيات،

قاومـــــت لأنهـــــض، منعتنـــــي إحـــــدى الممرضـــات وحثتنـــي علـــى عـــدم الإقـــدام على الحركة، فحالتي لا تسمح بذلك.

إضـــافةً إلـــى أن أحـــدهم تكفـــل بالتكـــاليف، فسأبقى لعدة أيام.

صُـــعقت عنـــدما رمقتهـــا تقلـــب صـــفحات ملفـــــي الشخصـــــي بيـــــدها النـــــاعمتين، تســـترق النظـــر إلـــي كـــل حـــين ببســـمة توحي بأمل كاذب.

الحقيقـــة ظننتنـــي بهـــا جاهلـــة حركـــت رأســـي بالإيجـــاب مـــع بعـــض الحســـرة بـــاقتراب العـــد التنـــازلي، فـــلا جـــدوى مـــن العيش بعد.

إنها آخر المراحل لي من مرض السرطان، أعرف ذلك ومتأكدة من أنني سأرحل عمّا قريب لهذا ارتأيت أن أرحل من قلوبهم أولًا، أيتها الممرضة، وأنا متعمدة أن يكرهني ويحتقروا وجودي كي لا أُلَمِح ذرة شفقة في أعينهم وكلمات المواساة التي تنخر فؤادي وتوجعني كل لحظة ولحظة عندما أكون بعيدة عنه في آخر أيامي في احتضاري وإن تقربت، أتذكر الحقيقة المرة وواقع هذا الفراق الذي كان صبيانيًا متهورًا في البداية وسيكون حتميًا في النهاية.

أيامي معدودة، والعد العكسي قد بدأ، إنذارات صافراته تعلن النهاية.

*****

تصفحت هذه الكلمات وعانقتها عيناي عندما عدت لزيارتها أمدتني بها الممرضة، وكنت أردت الاطمئنان على حالها، إذ نزلت حروفها كالقضبان على قلبي.

ما هذا؟ لا يعقل! لماذا لم تخبرني عن كل ذلك؟ أكنت تكذبين علي كل هذا الوقت؟ وتتحملين كل هذا الحزن، يا ولاء؟ تعانين في صمت، وأنا الأحمق أشكك فيك، أجرحك وأجرح نفسي بكلمات جارحة.

أو تكابرين في إقناعي بالسفر لأجل العلاج الكيماوي وأرفض كالأخرق.

كنت تلمحين لهذا الأمر المريب، وأنا كالساذج، بل السادي الذي لا يبالي، أتمتع بجلدك.

عانيت الأمرين لوحدك وبدوني، لم أساندك ولم أشك مقدار ذرة أنك تصارعين الموت.

أنا حقًا يجب أن أتجرع مرارة الفقد أستحق وبشدة، كوني لست أهلًا.

شككت بك وكِلتُ لك السباب وجرحت احتياجك لي وقطعت أواصر الصداقة التي جمعت بيننا.

أي صـــديق أنـــا؟ ويـــلاه ويـــلاه، مـــا أنـــا بفاعـــل؟ أنـــت الـــروح التـــي يســـتحيل خيانتهـــا. قـــدمتِ ومنحـــتِ لـــي الكثيـــر، وفـــي المقابـــل لـــم أحـــاول حتـــى أن أســـبر أغـــوارك وأشـــعر بـــأن هنـــاك خطبًـــا مـــا ألـــمّ بك.

ســـوء فهـــم بســـيط جنـــد كبريـــائي لأبـــين عكـــس مـــا تعتقـــدين. كنـــت أعانـــد وأصـــرخ في وجهك كي تبقي.

كفكـــف شـــلالات الأســـى عـــن وجنتيـــه وهـــو يـــتم قـــراءة بقيـــة الأوراق...

الجمّـــت انفعـــالاتي أمامـــك وقلتهـــا فـــي وجهـــك بلســـاني فقـــط. وبفعـــل تـــداعيات

المرض، انسحبت من حياتك لأبدأ من جديد جسدًا بلا روح، اسمًا بلا معنى.

توقفت حياتي عند هذه اللحظة بين ثنايا هذه الحروف التي تجلدني كل لحظة وتخرسني، فلم أقوى يومًا على مواجهتك بالحقيقة، وأعترف بانهزامي وحسرتي وانكساري.

أنني ضعيفة مريضة، انتصر علي المرض ولا مفر خلتك شامخًا منقذًا، خُيِّل إليّ عند الاعتراف أنك ستتهرب، وكأن بي عدوى ستصيبك سهام مقلتيك ستردني صريعة إشفاق لن أحتمله منك.

كنت بين نيران البوح القاتل والكتم المميت... سرعان ما تراجعت في آخر المطاف عن الإفصاح عن ذلك وإلغاء اللقاء المنتظر.... أتحسس الآن تلك الدمعة التي تعجز عن إطلاق عنانها بسبب كبريائك، فلا تتقبل الهزيمة والضعف.

خارت قواك بفعل رحيلي، وأنين قلبك تولى البكاء متواريًا عن الأنظار، يضمد جراحه التي لن تشفيها الأيام.

أعلم أنه يصعب عليك تصديق ذلك، أني تركتك حتى يتسنى لك إتمام الحياة بدوني.

فـــلا أنصـــحك بـــالحزن والاعتكـــاف لفراقـــي، تعلـــم أننـــي لا أحـــب تلـــك الأجـــواء، فقـــد عشـــنا الســـنوات طـــوال دون فراق.

فحـــان الوقـــت لنبتعـــد قلـــيلاً لـــن يحـــدث أي شـــيء ســـوى الاشـــتياق الـــدائم لطلتـــي وملامحـــي، أمـــا الـــروح فبالكـــاد محفـــورة بـــداخلك كوشـــم تتحســـس وجـــودي بتلـــك الرائحـــة التـــي قلـــت لـــي عنهـــا إنهـــا تخصـــني مخبـــرة إيـــاك بقـــدومي... فلمـــا الحـــزن وقـــد تركـــت معـــك أجمـــل الـــذكريات، فمنـــذ نعومـــة أظـــافري لـــم أعـــرف أحـــدًا قـــط ســـواك نحـــن واحـــد لـــن نفتـــرق، ســـتحفظني بأعماقـــك وبـــين

شـــغاف قلبـــك كقطعـــة زجاجيـــة تخشـــى كســـرها. لـــن أغـــادر خيالـــك، أيامـــك، ساعاتك، دقائقك.

ســـأحتلها بكيـــاني بروحـــي الخالـــدة التـــي تحـــوم بـــك. أعلـــم أنـــك لـــن تـــذرف دمعـــة واحـــدة، أيهـــا الشـــحيح، ولكـــن ســـتفعل الآن وقـــد فعلـــت أنفًـــا وأغرقـــت مـــذكرتي. كـــوني فـــي عـــداد المـــوتى... وهـــذه الكلمـــات بـــين راحتيـــك تتـــذوق حنظـــل وقعهـــا عليـــك لـــيس لأننـــي أخفيـــت حقيقـــة مرضـــي وخنـــت ثقتـــك وقللـــت مـــن أهميتـــك، لا لـــيس كـــذلك، بـــل علـــى العكـــس، أخشـــى عليـــك مـــن أن تتهـــور ويحتـــرق صـــدرك بألســـنة المعانـــاة دون

حيلـــة أو فكـــرة لإنقـــاذي، لمســـاندتي واصـــطناع القـــوة أمـــامي. إحساســـك بالخيبـــة، كونـــك عـــاجزًا مكتـــوف الأيـــدي، لا تمتلك أدنى حل لإراحة أوجاعي.

شـــعور العجـــز فـــي نظراتـــك يقتلنـــي وينســـف دواخلـــي ويفتـــت أوصـــالي كلمـــا تخيلـــت مجـــرد تخيـــل أنـــك فـــي ذات الموقـــف، فخوفـــك علـــي حـــد الهلـــع والجنـــون قـــد يجعلـــك تنهـــار إن أصـــابني مكروه.

فـــلا أقـــوى علـــى رؤيتـــك هـــزيلاً وأنـــت مـــن يمـــدني بـــالقوة وأعتبـــرك ســـندي. فكيـــف لـــي أن أبصـــرك تنهـــار، وأملـــي فيـــك أن تقـــويني وتطمئننـــي وتربـــت علـــى كتفـــي،

لا أن تخاف ويكبل اليأس صمودك. لا أستطيع، صدقني لا، فهذه كانت حجتي وهذا مبرري لإخفاء مرضي عنك.

لن أتحمل ضعفك أمامي، عجزك بناظري، سقوطك، فأنت السند والسكن ولن أتمكن، شعور يصعب وصفه في الخيال فما بالك بالحقيقة...

لهذا أوصيك أن تحفرني وشمًا بك كلما اشتقت، تتحسسني، وعند النداء لن أتردد في محادثتك ومجالستك، فمن روحك انبعث وإليها أسكن... لا شك أنك نسيت، أعرف أنك لا تتذكر... أو ربما ألهيتك بكلامي هذا

ونميتي المفرطة. هل تحاول التذكر؟؟؟ لا تفكر مليًا، فسأعفيك عناء ذلك.

ألـيس اليوم هو مولدي ولم تعايدني كالعادة، أنا من يعلمك بعد فوات الأوان، بيد أن الأمر يختلف الآن.

لست موجودة لتعَيّدني وتنفق دريهماتك لأجل هدية تسعدني لكنني خالفت العرف هذه المرة، نعم لا تندهش، أنا في عيدي هذا أهديك قصتي هذه على أمل نشرها حتى لا أنسى وتتذكرني دائمًا، كلما قرأ أحدهم حرفًا لي، فلن أموت أبدًا، سأحيا معكم وبينكم وفيكم، ولتكن

أجمل ما قدمت في آخر أيامي وساعاتي الأخيرة وأجمل ما منحتني بنشرها هدية مولد مستمرة ودائمة لا تموت عباراتها، تحتفي بكل ميلاد مميز يخص الفبرايرين، فأنا مثله لم أعمر، رحلت عن الأنظار في برهة... أنهيت القصة قراءة بشق الأنفس، فما تحمله يعتصر فؤادي. حزنت نفسي لكلماتها الحزينة هذه، فارتأيت أن أنشر قصتها كما طلبت، ولتبقى حية بيننا كما أوصت.

تمت "هدية فبراير"